تفسير

سورة قريش[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾[٢]. وقُرئ: (إلا فِهِمْ)، و(إلْفِهِم)[٣].

---

(١) فيها قولان: أحدهما أنها مكية، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٤٥ إلى الأكثرين من المفسرين، وحكى ابن عطية الإجماع في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥. والثاني أنها مدنية، قاله الضحاك، وابن السائب. انظر: النكت والعيون ٦/ ٣٤٥، وزاد المسير ٨/ ٢١٣.

(٢) ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾.

(٣) قرأ ابن كثير في رواية ابن فليح وحده (لإيلاف قريش) (إلْفِهم) ساكنة اللام، وليس قبلها ياء، وذكر البخاري لابن كثير في هذه الرواية (إلافهم) بفتح اللام مشبعة بعدها ألف، والهمزة قبلها مختلسة ليس بعدها ياء، وقرأ أبو جعفر (ليلاف قريش) بغير همز، و(إلافِهم) مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء، وقرأ ابن عامر (لإلاف قريش) مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء، و(إيلافهم) مشبعة الهمزة بعدها ياء، وقرأ الباقون ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء. انظر: السبعة ٦٩٨، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٩٩، والحجة ٦/ ٤٤٤، والمبسوط ٤١٨، والتبصرة ٧٣٢.

قال علماء اللغة[١][٢] : (أَلِفْتُ الشيء ، وآلَفْته ، إلْفاً ، وإلافاً ، وإيلافاً ، بمعنى واحد[٣] ، فهو مألوف ، ومُؤلف ، وآلفتِ الظباءُ الرَّملَ إذا أَلِفَتْها .

قال ذو الرمة :

مـنَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِها[٤] يَتَوضَّحُ[٥]

فالإلف ، والإلاف مصدر ألف ، والإيلاف مصدر آلف .

وأنشدوا :

زَعَـمْتُمْ أنَّ إخـوَتَكُمْ قُرَيْشٌ[٦] لهُمْ إلفٌ وليسَ لكـــمْ إلافُ[٧]

ويقال أيضاً : أَلِفْتُ فلاناً الشيء أولفه إيلافاً ، إذا ألزمته إياه)[٨] .

---

(١) في (أ) : (اللغت) .

(٢) أبو عبيدة وأبو زيد ، جاء ذكرهما في تهذيب اللغة .

(٣) أي لَزِمْتُه . انظر : تهذيب اللغة (ألف) ١٥/ ٣٧٨ .

(٤) في (أ) : (مسها) .

(٥) ورد البيت في ديوانه ٢/ ١١٩٧ ، رقم ١٦ ، والحجة ٦/ ٤٤٥ ، وفيه (جيدها) بدلاً من (متنها) . انظر : الكامل ٢/ ٦٩٢ ، وفيه (لونها) بدلاً من (متنها) ، وتهذيب اللغة (ألف) ١٥/ ٣٧٨ ، ولسان العرب (ألف) ٩/ ١٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥ برواية : (جيدها) ، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤ ، والدر المصون ٦/ ٥٧٢ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٣٨ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٥٨ . المؤلفات : اللواتي اتخذن الرمل إلفاً . ويتوضح : يبرق في متنها . انظر : ديوانه ١١٩٨ .

(٦) لفظ قريش : ورد مرفوعاً على الخبر ، وفي اللسان (ألف) ٩/ ١٠ بالنصب على البدل ، وانظر : البحر المحيط ٨/ ٥١٤ .

(٧) البيت لمساور بن هند يهجو بني أسد ، وقد ورد في تهذيب اللغة (ألف) ١٥/ ٣٧٩ ، ولسان العرب (ألف) ٩/ ١٠ ، والحجة ٦/ ٤٤٦ ، والكشاف ٤/ ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠١ ، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤ برواية : (قريشاً) ، والدر المصون ٦/ ٥٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٩٨ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٤٠ .

(٨) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (ألف) ١٥/ ٣٧٨ ، وانظر : لسان العرب (ألف) ٩/ ١٠ .

واختلفوا في (اللام) في قوله : ﴿لِإِيلَٰفِ [١] قُرَيْشٍ﴾ ، فذكروا فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وهو الأشهر الأعرف أن اللام تتعلق بالسورة التي قبلها ، وذلك أن الله -تعالى- ذكَّر أهل مكة عظيم النعمة عليهم في ما صنع بالحبشة ، ثم قال : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ، كأنه قال : ذلك إلى نعمة عليهم في رحلة الشتاء والصيف ، وتقول : نعمة إلى نعمة ، ونعمة لنعمة سواء في المعنى[٢] . (هذا كلام الفرَّاء)[٣] .

وقال الأخفش : «يقول فعلنا ذلك بهم لتأليف قريش»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : فجعلهم كعصف مأكول لألف (قريش)[٥] ، أي أهلك الله (أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف»[٦] ، وهذا قول أبي عبيدة[٧] .

(واعترض على هذا القول معترض ، فقال : إنما جُعلوا كعصف مأكول لكفرهم ، ولم يجعلوا كذلك لتألف قريش[٨]) .

---

(١) في (أ) : (ليلاف) .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٩٣ بتصرف يسير .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد معنى قوله في الحجة ٦/ ٤٤٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥ ، والدر المصون ٦/ ٥٧١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣١٢ .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٣١٢ ، وهو معنى قول مجاهد ، وابن عباس في رواية ابن جبير عنه . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٠٦ .

(٨) وممن اعترض على هذا القول الطبري ، قال : «وأمَّا القول أنه من صلة قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ، فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون : (لإيلاف) بعض (ألم ترَ) ، وأن لا تكون سورة منفصلة من (ألم ترَ) ، وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامتان كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول الذي قاله مَن قال ذلك ، ولو كان قوله : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ من صلة قوله : =

قال أبو علي : «وليس هذا الاعتراض بشيء ، لأنه يجوز أن يكون المعنى : أُهلكوا لكفرهم ، ولمّا أدَّى[١] إهلاكهم إلى أن تألف قريش ، قيل : أُهلكوا لإيلاف قريش ، وجاز ذلك كقوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص :٨] ، وهم لم يلتقطوه لذلك ، فلمَّا آل الأمر إليه حسن أن يجعل عليه الالتقاط»[٢] .

الوجه الثاني : قول الفرَّاء : «ويقال : إنه عجَّب نبيه فقال : يا محمد ، اعجب لنعم الله على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»[٣] .

وقال الأخفش : «قال بعضهم : هو على التعجيب ، وليس معلقاً (بما قبله ؛ كأنه)[٤] قال : لإيلاف قريش ، (وما صنع الله بها ، كما تقول)[٥] : لزيد وما صنعناه ، ولزيد وكرامتنا إياه»[٦] .

وقال أبو إسحاق : «وقال قوم : هذه لام التعجب ، (كأن المعنى : أعجبوا)[٧] لإيلاف قريش»[٨] .

= ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ لم تكن (ألم ترَ) تامة حتى توصل بقوله : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ؛ لأن الكلام لا يتم إلَّا بانقضاء الخبر الذي ذكر» . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(١) في (ع) : (أهدى) .

(٢) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦/ ٤٤٨ بتصرف يسير .

(٣) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٩٣ بنصه .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣/ ١٥٩أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢٩ ، وورد في حاشية زاد المسير (النسخة الأزهرية) ٨/ ٥١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠١ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٥ .

الوجه الثالث : قول الخليل وسيبويه[١] ، وهو أن هذه اللام متصل بما بعدها على تقدير : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش ؛ أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة ، واعترافاً بها[٢] . واختار صاحب النظم (وابن قتيبة)[٣] الوجه الأول .

قال صاحب النظم : «الوجه الأول أشبه بالصواب ، لقوله على أثره : ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ ، وهذا كما تقول في الكلام : قد فعلت بفلان كذلك ، وكذا الخير صنعته[٤] به ، فليفعل هو كذا ، وكذا لأمر[٥] أمرته به ، ولا يكاد يجيء مثل هذا الأمر بعد التعجيب»[٦] .

وقال ابن قتيبة : «هاتان سورتان متصلتا الألفاظ» .

والمعنى : إن قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليها فيه ، وأن يعرض لها أحد بسوء إذا خرجت منه لتجارتها ، وكانوا يقولون : قريش سكان الله[٧] ، وأهل الله ، وولاة بيته الحرام جديب[٨] لا زرع به ولا ضرع ، ولا شجر ولا مرعى ، وإنما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة ، وكانت لهم رحلتان في كل سنة : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام ، ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام ، ولولا الأمن بجوارهم البيت لم يقدروا على التصرف ، فلمَّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليهدموا الكعبة ، وينقلوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا بها هناك

---

(١) قوله : (الخليل وسيبويه) غير واضح في (ع) .
(٢) انظر : كتاب سيبويه ٣/ ١٢٧ ، وقد أورد أبو علي قولي الخليل وسيبويه في الحجة ٦/ ٤٤٨ .
(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٤) غير واضح في (ع) .
(٥) في (أ) : (الأمر) .
(٦) لم أعثر على مصدر قوله .
(٧) أي سكان حرم الله كما في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
(٨) أي الحرم وادٍ جديب .

بيتاً ينتقل الأمن إليهم ، ويصير العـــز إليهم ، أهلكهم الله ، لتقيم قريش بالحرم ، ويجاوروا البيـــت[١] . فقال : يذكر نعمتـــه : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ؛ أي لفعلهـــم ؛ أي فعل ذلك ليؤلف قريشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما تعيُّشهم ، ومقامهم بمكة .

تقول : ألفت موضع كذا ، إذا ألزمته[٢] ، وألفيته الله ، كما تقول : «لزمت موضع كذا ، وألزمنيه الله ، وكرَّر (لإيـــلاف) كما تقول في الكلام : أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانةً عن كل الناس ، فتكرَّر[٣] الكلام على التوكيد[٤] . أنتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره هو على أن يجعل (الإيلاف) واقعاً ، ويكون المصدر الواقع مضافاً إلى المفعول .

ويجـــوز أن يكون مضافـــاً إلى الفاعل على معنى (هم يؤلفـــون) ؛ أي يهيئون ويجهزون ، قال الفرَّاء[٥] وابن الأعرابي[٦] : «ويجوز أن يكون الإيلاف مطاوعاً ، فيكون مضافـــاً[٧] إلى الفاعل ، على معنى : لتألف قريـــش رحلتيها ، ولتألف[٨] قريش الرحلتين فتتصلا ولا ينقطعا» . ويؤكد هذا الوجه قراءة مَن قرأ : (لإلالف قريش) و (لإيلافهم) ، فإن هذين المصدرين للمطاوع ، وقد حصل في هذا ثلاثة أقوال :

---

(١) في (أ) : (يجاور) .

(٢) في (أ) : (ألزمته) .

(٣) في (أ) : (فتكرير) .

(٤) ورد قوله في تأويل مشـــكل القرآن ٤١٣-٤١٥ بتصرف يسير ، وورد مختصراً في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٣٩ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ورد قوله في تهذيب اللغة (ألف) ١٥/ ٣٧٩ ، وورد غير منسوب في لسان العرب (ألف) ٩/ ١٠ .

(٧) في (أ) : (مضاف) .

(٨) في (أ) : (لتا لف) .

أحدها : لتولف قريش رحلتيها .

والثاني : لتؤلف قريش رحلتيها .

والآخر : لتألف قريش رحلتيها .

(وذكر ابن الأعرابي بيان الإيلاف وكيفيته ، فقال : أصحاب الإيلاف أربعة إخوة : هاشم ، وعبدشمس ، والمطلب ، ونوفل بن عبدمناف[١] ، كانوا يؤلفون الجوار يجيرون قريشاً بميرهم[٢] ، وكانوا يُسَمَّوْن المجيرين ، فأمَّا هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم ، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى[٣] ، وأخذ عبدشمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فكان[٤] تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة ، فلا تُعرض لهم . فكان هاشم يؤلف إلى الشام ، وعبدشمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس)[٥] .

ومعنى يُؤْلِف : يجير ، والإجارة سبب تألف الغير ، فقيل للجوار : إيلاف ، وللمجير : مؤلف ، (وأمَّا قريش فهم ولد النضر بن كنانة ، وكل مَن ولده النضر فهو قرشي ، ومَن لم يلده النضر فليس بقرشي)[٦] ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : «إنَّا بني النضر بن كنانة لا نَقْفُو أمَّنا ، ولا نَنْتفي من أبينا»[٧] .

---

(١) في (أ) و(ع) : (بنوا) .

(٢) الميرة : جلب الطعام للبيع ، يقال : ماره يميره ميراً : إذا أتاه ميرة ؛ أي طعام . انظر : تهذيب اللغة (مور) ٥/ ٢٩٩ .

(٣) في (أ) و(ع) : (كسرا) .

(٤) في (أ) : (وكان) .

(٥) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩-٣٨١ بتصرف يسير .

(٦) ما بين القوسين منقول عن الكشف والبيان ١٣/ ١٥٩ ب .

(٧) الحديث رواه الإمام أحمد ٥/ ٢١١ ، ٢١٢ ، وابن ماجه في السنن في كتاب الحدود ، باب (١٣٧) ٢/ ٩٦ ح ٢٦٤١ ، من طريق عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هيصم ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ح ٢١٩٠ ، ٢١٩١ من طريقين : أحدهما صرح بالتحديث فيهما عن الجفشيش =

واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم ، فذهب قوم إلى :

(أنه من القرش ، وهو الجمع من هاهنا وهاهنا ، وسُمِّيت قريش قريشاً لتقرشها ؛ أي لتجمعها إلى مكة من جوانبها[١] ، وكانوا متبددين في الأرض ، فتقرشت ؛ أي اجتمعت بعد التفرق حين جمعهم قصي بن كلاب في الحرم ، ولذلك سُمِّي مجمعاً)[٢] ، ومنه قول الشاعر يذكر قريشاً :

أبوكمْ قُصَيٌّ كانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ... بهِ جَمَّعَ اللهُ القبائلَ مِنْ فِهْرِ[٣]

(هذا قول الليث)[٤][٥] .

= الكندي . قال البوصيري في الزوائد : «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» . انظر : حاشية سنن ابن ماجه ٢/ ٩٦ ، وقال الألباني : «وهو كما قال» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٤٨٩ ح ٢٣٧٥ ، وقال الألباني عنه : «حسن» . انظر : صحيح ابن ماجه في كتاب الحدود ، باب (٣٧) ٢/ ٩١ ح ٢١١٥ .

(١) في (أ) : (حواليها) .

(٢) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (قرش) ٨/ ٣٢١ ، وهو قول الليث بتصرف . انظر : لسان العرب (قرش) ٦/ ٣٣٥ .

(٣) البيت لمطرود الخزاعي انظر : شرح ديوان أبي تمام ٤/ ٩٥ ، والتبيين في أنساب القرشيين ١ ، ونسبه البغدادي إلى الفضل بن العباس في خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ ، وقد ورد غير منسوب في النكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، والدر المصون ٦/ ٥٧٢ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٢ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٣٩ ، ولسان العرب (جمع) ٨/ ٦٠ ، وفيها كلها (أبونا) بدلاً من (أبوكم) .

(٤) ذكرت ذلك في حاشية سابقة ، غير أن الليث لم يذكر بيت الشعر ، ولم يرد أيضاً في تهذيب اللغة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال آخرون : (بل سُمِّيت قريش للتجارة ، وجمع المال ، وكانوا أهل تجارة ، ولم يكونوا أصحاب ضرع ، وزرع ، والقَرْش الكسب ، يقال : هو يقرش لعياله)[١] ، (ويقترش ؛ أي يكتسب ، ويتقرَّشُ ويَتَقَرقحُ ؛ أي يكسب ويطلب)[٢] .

وقال[٣] الشاعر :

إخـوةٌ قـرَّشـوا الـذنوبَ علينا ... في حـديـثٍ مـنْ عـهدِهِمْ وقديمِ[٤]

أي جمعوا ، (وهذا قول أكثر الناس[٥])[٦] .

وقال مَعْروف (بن خَرَّبوذ[٧])[٨] : «إنما سُمِّيت قريشاً ، لأنهم كانوا يفتشون الحاج عن خلتهم فيسـدونها ، ويطعمون جائعهم ، ويكسون عاريهم ، ويحملون المنقطع به ، والتقريش : التفتيش»[٩] .

---

(١) ما بين القوسين انظر فيه : تهذيب اللغة (قرش) ٨/ ٣٢١ ، ولسان العرب (قرش) ٦/ ٣٣٥ .

(٢) ما بين القوسين من قول اللحياني في تهذيب اللغة (قرش) ٨/ ٣٢١ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) البيت لأبي جلدة اليشكري ، وقد ورد منسوباً في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٣ ، وغير منسوب في النكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٣٩ ، وفيها كلها (من دهرهم) بدلاً من (من عهدهم) .

(٥) ذكر هذا السبب من جملة أسباب تسمية قريش بهذا الاسم من غير ترجيح ، وذلك في الكشف والبيان ١٣/ ١٥٩ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٣٠ ، والكشاف ٤/ ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢١٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٤١١ ، والدر المنثور ٨/ ٦٣٨ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) معروف بن خَرَّبوذ المكي ، مولى عثمان ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي ، وروى عنه أبو عاصم الضحاك ، صدوق ربما وَهَم ، كان إخبارياً علَّامة ، روى له البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه . انظر : كتاب العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٥٨ ، رقم ٣٧٧ ، والكاشف ٣/ ١٤٣ت ٥٦٥٠ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٦٣ت ٦٠٨٦ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٤ت ١٢٦٦ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ورد هذا القول غير منسوب في الكشف والبيان ١٣/ ١٥٩ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، وانظر : =

قال ابن حِلِّزَة[١] :

أيُّـهـا الـشـامـتُ المـقرِّشُ عنَّا عِندَ عَمروٍ وهلْ لذاكَ[٢] بَقَاءُ[٣]

وروي أن[٤] معاوية[٥] سـأل ابن عباس : «لم سُمِّيت قريش قريشاً ؟ فقال : قريش دابـة في البحر تأكل دواب البحر ، ولا تؤكل ، وتعلو ولا تعلى ، وأنشـد (فقال)[٦] :

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُـرَيْشَـا»[٧] .

= معالم التنزيل ٤/ ٥٣٠ ، والكشـاف ٤/ ٢٣٥ ، وزاد المسـير ٨/ ٢١٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٤١١ .

(١) تقدَّمت ترجمته في سورة النساء .

(٢) في (أ) : (لذلك) .

(٣) ورد البيت في ديوانه ٤٨ ، برواية : (أيها الشـاني المبلغ عنـا . . . انتهاء) بدلاً من (بقاء) . انظر : شرح المعلقات للـزوزني ٢٢١ ، وفيه (المرقش) بـدلاً من (المقرش) ، والنكت والعيـون ٦/ ٣٤٦ ، وفيه (إبقاء) بدلاً من (بقاء) ، والدر المصون ٦/ ٥٧٢ ، وفيه (أيها الناطق) بدلاً من (أيها الشامت) ، ولسان العرب (قـرش) ٦/ ٣٣٤ برواية : (أيها الناطق) . ومعنى البيت : أيهـا الناطق عند المَلك الذي يبلِّغ عنَّا المَلك ما يريبه ويشـككه في محبتنا ، هل لذاك التبليغ بقاء ؟ وهذا استفهام معناه النفي ؛ أي لا بقاء لذلك ، لأن الملك يبحث عنه ، فيعلم أن ذلك من الأكاذيب . انظر : هامش شرح المعلقات ٢٢١ .

(٤) في (أ) : (ابن) .

(٥) في (ع) : (معومة) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد قول ابن عباس في الكشـف والبيان ١٣/ ١٥٩ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٣٠ ، والدر المصون ٦/ ٥٧٢ ، والكشـاف ٤/ ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٤ ، ٣١٥ ، والتفسير الكبـير ٣٢/ ١٠٦ ، والجامع لأحـكام القرآن ٢٠/ ٢٠٣ ، والبحر المحيـط ٨/ ٥١٣ ، والدر المنثور ٨/ ٦٣٨ منسـوباً إلى البيهقي في الدلائل ، وتهذيب اللغة (قرش) ٨/ ٣٢١ ، ولسان العرب (قرش) ٦/ ٣٣٥ ، وروح المعـاني ٣٠/ ٢٣٩ . وقد نُسـب بيت الشـعر إلى تُبَّع في الـدر المصون ، وكذا عند القرطبي ، وأبي حيان ، ونُسب إلى الجمحي في الدر المنثور ، وروح المعاني .

٢. قوله : ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ . قال الليث : «الرحلة : اسم الارتحال من القوم للمسير»[(١)] .

قال المفسرون[(٢)] : «كانت لقريش رحلتان : رحلة بالشتاء إلى اليمن وبلادها من جَنَد[(٣)] وجُرَش[(٤)] وما يليهما ، وكان اليمن أدفأ[(٥)] من الشام ؛ فلذلك ارتحلوا إليها بالشتاء ، ورحلة بالصيف[(٦)] إلى الشام» .

---

(١) تهذيب اللغة (رحل) ٥/ ٧ .

(٢) ممن قال بذلك ابن زيد ، وسفيان ، والكلبي ، وانظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٠٨ ، وحكاه عن المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣١٥ ، والفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ١٠٦ ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٤١١ ، ورجَّحه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٩٨ . وقال به أيضاً الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٩٤ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٣) جَنَد : من أعمال اليمن ، تقع قرب صنعاء ، والجند مسماة بجند بن شهران ؛ بطن من المعافر ، وفي الجند مسجد بناه معاذ بن جبل ، يُنسب إليها المؤرخ اليماني المفضل الجندي ، والبهاء الجندي ، ويوجد جبل في اليمن يطلق عليه اسم الجند .
انظر : معجم البلدان ٢/ ١٦٩ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٦٤٠ ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد ٢/ ٣٩٧ .

(٤) جُرَش : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل : هي مدينة عظيمة في اليمن ، وولاية واسعة ، وقد فتحت في حياة النبي ﷺ سنة ١٠ هـ صلحاً على الفيء ، يُنسب إليها يزيد بن الأسود الجرشي من التابعين . انظر : معجم البلدان ٢/ ١٢٦ .

(٥) في (أ) : (أفا) .

(٦) (الصيف) مكرر في (ع) .

وذكر مقاتل على القلب من هذا ، فقال : «كانوا يمتارون في الشتاء من الأردن[١] ، وفلسطين[٢] ؛ لأن ساحل البحر أدفأ ، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشام ، والبحر من أجل الحر ، وأخذوا إلى اليمن للمسيرة»[٣] .

و(نحو هذا)[٤] روي عن الكلبي ، وقال : «كان أول مَن حمل السمراء[٥] من الشام ورحل إليها الإبل : هاشم بن عبدمناف»[٦] .

وذكر (عطاء عن)[٧] ابن عباس السبب في ذلك فقال : «كانت قريش إذا أصاب واحداً منهم مخمصة[٨] خرج هو وعياله إلى موضع ، وضربوا على أنفسهم

---

(١) الأُردن : اسم بلد ، وفيه عدَّة كور ، منها : جُدَر ، وصفورية ، وغيرهما ، افتتحه شرحبيل بن حسنة عنوة ، وهو الآن دولة عربية تُعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية ، وتتكون من الشقة الشرقية لنهر الأردن ، وكانت تحت الاحتلال الإنجليزي ، ثم نالت استقلالها عام ١٩٤٦م ، عاصمتها عَمَّان ، ويعدُّ الأردن من المناطق الإستراتيجية قديماً وحديثاً ، وبرزت أهميته في أثناء الحروب الصليبية ، وهو يحوي العديد من المواقع الأثرية المهمة في الشرق الأوسط . انظر : معجم البلدان ١/ ١٤٧ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٦٥ ، والآثار في شمال الحجاز للقثامي ١/ ٢٩ .

(٢) فلسطين : إقليم عربي يشغل شريطاً ضيقاً من الأراضي المتاخمة للساحل الجنوبي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وقد خضعت فلسطين للانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م الذي مكن اليهود من الاستيطان في فلسطين ، وتعدُّ القدس (العاصمة السابقة لفلسطين) المركز الديني للديانتين : الإسلامية والنصرانية ، وقد سعى اليهود لجعلها مركزاً روحيّاً لأتباع ديانتهم . أمَّا تل أبيب فهي عاصمة الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٤٨م ، وأمَّا اللغة الرسمية فالعربية للعرب ، والعبرية لليهود ، ويمثِّل العرب المسلمون الغالبية العظمى من سكان فلسطين المحتلة ، ويتبع معظمهم المذهب السُّني ، ويتبع بعضهم المذهب الدرزي ، ويقيم بجانبهم عرب نصارى فلسطينيون . انظر : معجم البلدان ٤/ ٢٧٤ ، والموسوعة العربية العالمية ١٧/ ٤٢٢-٤٤٠ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٣ب ، وورد بمعناه في بحر العلوم ٣/ ٥١٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) السمراء : الحنطة ، وقيل : الناقة الأدماء . انظر : لسان العرب (سمر) ٤/ ٣٧٦ .

(٦) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٣١ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) المخمصة : المجاعة ، وخمص الشخص خمصاً فهو خميص ، إذا جاع . انظر : المصباح المنير ١/ ٢١٨ ، ومختار الصحاح ١٩٠ .

خباء حتى يموتوا ، إلى أن كان هاشم بن عبدمناف ، وكان سيد زمانه ، وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له تِرْبٌ[١] من بني مخزوم[٢] يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والمجاعة ، فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت أمه إلى أولئك بدقيق وشحم ، فعاشوا فيه أياماً ، ثم أتى تِرْب أسد أيضاً إليه وشكا ثانياً ، فقام هاشم خطيباً في قريش فقال : إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتذلون ، وأنتم أهل حرم الله ، وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع ، قالوا : نحن نتبع لك فليس عليك منَّا خلاف ، فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه (بينه)[٣] وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على هذا ، فلم يكن[٤] في العرب بنو أب[٥] أكثر مالاً ، وأعز من قريش ، ولا أمنع»[٦] .

وقد قال الشاعر فيهم :

الخالطينَ فقيرَهمْ بغنيِّهمْ حتى يكونَ فقيرُهمْ كالكافي[٧][٨]

---

(١) تِرْبٌ : اللدة والسِّن ، يقال : هذه تِرْب هذه ؛ أي لدتها ، وقيل : ترب الرجل الذي ولد معه . انظر : لسان العرب (ترب) ١/ ٢٣١ ، وتاج العروس (ترب) ١/ ١٥٨ .

(٢) بنو مخزوم : بطن من لؤي بن غالب بن قريش . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٣٧١ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) (فلم يكن) بياض في (ع) .

(٥) في (أ) : (بنو أرب) .

(٦) (من قريش ولا أمنع) بياض في (ع) .

(٧) ورد البيت مختصراً غير منسوب في معالم التنزيل ٤/ ٥٣١ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٥ برواية : (الخالطون) (وحتى يصير) ، ولباب التأويل ٤/ ٤١١ ، والبحر المحيط ٨/ ٥١٥ ، وروح المعاني ٣/ ٢٤٠ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٧ ، برواية : (الخالطون) .

(٨) ورد قوله في المراجع السابقة عدا النكت والعيون ، والبحر المحيط ، وروح المعاني .

٣. (قولـه)[١] : ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ . قـال الكلبي : «يقول : فليوحدوا رب هذه الكعبة»[٢] .

٤. ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ ؛ أي بعـد جوع ، وهـذا[٣] كما تقول : كسوتك من عُرْي[٤] ، وهذا الإطعام يفسَّر على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الله -تعالى- آمنهم بالحرم ، وكونهم من أهله حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم ، وكان ذلك سـبب إطعامهم بعد ما كانـوا فيه من الجوع . (كما ذكر عطاء عن ابن عباس[٥] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٦])[٧] .

وقال مقاتل : «شـق عليهم الاختلاف إلى الناحيتين في الشـتاء والصيف ، فقذف الله في قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام في السفن إلى مكة ، فحملوه ، وجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحُمُر فيشترون طعامهم من جُدَّة[٨] على مسيرة ليلتين ، وتتابع ذلك عليهم فكفاهم الله مؤنة الرحلتين»[٩] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (أ) : (وهاذا) .

(٤) في (ع) : (عراى) . وعُرْي : يقال رجل عـار إذا خلع ثوبه ، والمرأة عُريانة ، وفرس عُرْي ؛ ليس عليه سرج ، وعَـري من ثيابه بالكـسر ، وعُرْياً بالضم فهو عارٍ . انظر : تهذيـب اللغة (عرى) ٣/ ١٥٩ ، ومختار الصحاح ٢٤٩ ، وانظر : النهاية ٣/ ٢٢٥ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٢/ ١٠٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٥٣ب .

(٨) جُدَّة : ساحل مكة ، سُـمِّيت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجُدَّ من البحر والنهر ما ولي البر ، وأصل الجُدَّة الطريق الممتد ، وهي الآن ميناء في المملكة العربية السعودية تطل على البحر الأحمر ، وتعدُّ المنفذ البحري لمكة ، يُنسـب تأسيسـها إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفـان رضي الله عنه . انظر : معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ١/ ٣٧١ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٥٨٥ .

(٩) ورد في التفسـير الكبير ٣٢/ ١٠٨ ، وورد بمعناه من غير نسبة في النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٩ .

وقال الكلبي : «هذا الإطعام هو أنهم لمّا كذَّبوا محمداً ﷺ دعا عليهم ، فقال : «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» .

فاشـــتد عليهم القحط ، وأصابهم الجهد ، فقالوا : يا محمد ، ادعُ الله لنا ، فإنَّا مؤمنون ، فدعا رســـول الله ﷺ فأخصبت تَبَالَة[١] ، وجُرَش ، والجَنَد[٢] من بلاد اليمن ، فحملوا الطعام إلى مكة ، وأخصبت أهل مكة بعد القحط[٣] ، فذلك قوله تعالى : ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

وهو أنهم كانوا يســـافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد ، ولا يغير أحد عليهم ، لا في ســـفرهم[٤] ، ولا في حضرهم[٥] ، وكان غيرهم لا يأمن ســـفرهم ، ولا في حضرهم .

وهذا معنى قوله : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص :٥٧] الآية ، أعلم الله -تعالى- أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء ؛ أطعمهم وهم في بلدة لا زرع فيها ولا ضرع ، وآمنهم وغيرهم خائفون ، وأمرهم بعبادة الذي أنعم عليهم هذه النعمة . (هذا قول جماعة المفسرين[٦])[٧] .

---

(١) كلمة (تبالة) ســـاقطة من (أ) ، وهي بلدة صغيرة من اليمن ، أسلم أهلها من غير حرب ، وكان فتحها سنة ١٠هـ . انظر : معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ١/ ٣٠١ ، ومعجم البلدان ٢/ ٩ .

(٢) كلمة غير مقروءة في (أ) .

(٣) ورد معنى قوله في التفســـير الكبـــير ٣٢/ ١٠٨ ، وورد معناه أيضاً من دون نســـبة في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٤١٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٩٨ .

(٤) في (ع) : (سفره) .

(٥) في (ع) : (حضره) .

(٦) وهو معنى قول ابن زيد ، وقتادة ، ومجاهد . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٩ ، وبمعناه قال الســـمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٥١٧ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٦ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٦١أ ، وانظر أيضاً : المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال الضحاك[١]، والربيع[٢]، (وشريك[٣])[٤]، وسفيان[٥]: «(وآمنهم من خوف) يعني من خوف الجذام[٦]، (فلا يصيبهم بجلدهم الجذام)»[٧].

* * *

(١) جامع البيان ٣٠/ ٣٠٩، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٣١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٩، وفتح القدير ٥/ ٤٩٨.

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا النكت والعيون، والمحرر الوجيز.

(٣) فتح القدير ٥/ ٤٩٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) يراد به سفيان الثوري، وقد ورد قوله في المصادر السابقة ما عدا المحرر الوجيز.

(٦) الجذام: مرض يصيب الجلد والأعصاب، ويجعل الجلد متورماً، كثير العقد، ويتغير لونه، وهو مرض معدٍ، ويعدُّ العلاج المبكر للجذام مهماً جدّاً؛ لأنه يمنع التشوهات، والإعاقة الجسدية. وأصل الجذم القطع، سُمِّي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٨/ ٢٢٣، والصحاح (جذم) ٥/ ١٨٨٤، ولسان العرب (جذم) ١٢/ ٧٨.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).